

## أهم ما وقع من أحداث تاريخية في خلافة يزيد بن معاوية من خلال روايات اليعقوبي الشيعية

أ. أمبارك داودي

المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة

### Résumé:

Les historiens chiites avaient un grand rôle dans l'écriture de l'histoire islamique en leurs divers degrés de chiisme où ils ont travaillé sur la distorsion des faits historiques afin de mieux servir leurs doctrines et croyances corrompus.

Al-Yakoubi, qui a vécu au temps du califat abbasside fit partie de ces historiens chiites, ce qui explique les préjugés portés contre les omeyyades accusés de transgression du pouvoir légitime de califat des mains des fils d'Ali bin Abi Talib après son décès.

Les risques des versions dudit historien reposent sur le fait qu'elles sont considérées comme étant la source principale de plusieurs écrits de certains orientalistes anti islam.

Le choix de la période de Yazid bin Mouaawiya comme exemple d'étude dans l'histoire d'Al Yakoubi se traduit par les événements critiques qui ont marqué cette époque de l'histoire islamique comme le meurtre d'El Hussein fils d'Ali (qu'Allah soit satisfait de lui) et la bataille d'El Hurra ainsi que l'histoire de la combustion d'El Kaaba. Tous ces événements ont conduit les chiites à sous-estimer Yazid et même le rendre mécréant.

### مقدمة

إنّ البحث في التاريخ الإسلامي لا يزال على الرغم من الزخم الهائل للكتابات التي تناولته ، يفتح آفاقا جديدة أمام الباحثين المتحمسين ، والراغبين تخليصه من الشوائب التي علقته به ، مع أنه لا يجب أن يفهم من هذا أن خوض غمار البحث في مواضيع التاريخ الإسلامي يُعد سبيلا هينا وسهلا لأنه يفرض على أي باحث الحذر من الانسياق وراء القراءات والأطروحات المغرضة والمتحاملة في متون إصدارات مدرسة التاريخ الاستشراقي .

ولما كان التاريخ الإسلامي يكتسي هذه الأهمية البالغة فقد اهتم بتدوينه مجموعة من المؤرخين على اختلاف مشاربهم ، وميولاتهم الفكرية والمذهبية ، ومن هؤلاء المؤرخ اليعقوبي الذي تناول خلافة يزيد بن معاوية ووصمها بأنها سنين شؤم وسنحاول في هذه الأسطر ذكر ثلاثة أحداث تاريخية وقعت في زمن خلافة يزيد بن معاوية تبين تحامل اليعقوبي على هذا الخليفة الأموي ، كقصة مقتل الحسين بن علي و وموقعة الحرة وقصة حرق الكعبة .

### 1-مقتل الحسين (61 هـ/681م) :

لقد خصّص اليعقوبي عنوانا عن حادثة مقتل الحسين رضي الله عنه ، وذكر قصته كالتالي :  
"وسار الحسين يريد العراق ، فلما بلغ القططانة<sup>(1)</sup> أتاه الخبر بقتل مسلم بن عقيل ، ووجه عبيد الله بن زياد ، لما بلغه خبره من الكوفة ، بالحر بن يزيد ، فمنعه من أن يعدل ، ثم بعث إليه بعمر بن سعد بن أبي وقاص في جيش ، فلقى الحسين بموقع يقال له كربلاء ، وكان جيش الحسين في اثنين وستين أو اثنين وسبعين رجلا من أهل بيته وأصحابه ، وعمر بن سعيد في أربعة آلاف .... وأتاه سهم فوقع في ثنيتيه ، فخرج من قفاه فسقط ، وبادر القوم فاحترؤا رأسه ، وبعثوا به إلى عبيد الله بن زياد وانتهبوا مضاربه ، وابتزوا حرمه وحملوهن إلى الكوفة ... ونصب رأسه على رمح ... ووضع الرأس بين

يدي يزيد ، فجعل يزيد يقرع ثنياه بالقصب ، وكانت أول صارخة صرخت في المدينة أم سلمة زوج رسول الله كان دفع إليها قارورة فيها تربة ، وقال لها : إن جبريل أعلمني أن أمي تقتل الحسين وأعطاني هذه التربة وقال لي : إذا صارت دما عبطا فاعلمي أن الحسين قد قتل ، وكانت عندها فلما حضر ذلك الوقت جعلت تنظر إلى القارورة في كل ساعة ، فلما رأتها قد صارت دما صاحت : **واحسيناه وابن رسول الله " (2)**.

والملاحظ من خلال رواية المؤرخ اليعقوبي أن يزيد بن معاوية أمر بقتل الحسين بن علي رضي الله عنه ، وقد ذكر ذلك الطبري في تاريخه (3) ، في حين لم يذكر ذلك ، ابن الأثير (4) ، وابن خلدون (5) ، ولا ابن كثير الذي أخذ حادثة مقتله من كلام أئمة الشأن ، لا كما يزعمه أهل التشيع من الكذب الصريح ، والبهتان (6) ، حيث الثابت أن يزيد أمر عامله عبيد الله بن زياد بأن يمنع الحسين من الذهاب إلى أهل الكوفة الذين راسلوه ووعدوه بالناصر (7) لا أن يقتله ، ولإشارة فإنه بعد استشهاد (8) الحسين قطع رأسه (9) ، وقتل معه كثير من أهله (10) ، وما ذكره المؤرخ اليعقوبي من أن رأس الحسين وُضع بين يدي يزيد فجعل يقرع ثنياه بالقصب لا يصح ، فقد نفى ابن تيمية إرساله إلى الشام ، والذي ثبت في الصحيح أن رأس الحسين بن علي رضي الله عنه حمل إلى عبيد الله بن زياد (11) ، ذلك أن نكت رأس الحسين بالقصيب إنما كان بحضرة أنس بن مالك ، وأبي برزة الأسلمي ، وهذين الأخيرين كانا بالعراق ويزيد بن معاوية كان بالشام ، ولم يكن بالعراق حين مقتل الحسين (12) .

وقد ثبت أن يزيد بن معاوية لما بلغه خبر مقتل الحسين بن علي رضي الله عنه ساء ذلك وبكى عليه ، ولكن هذا لا يبرئ يزيد من مسؤولية مقتل الحسين إلا أنه يجب إنصاف الرجل - يزيد بن معاوية - ، فليس من اللائق أن يُنسب إليه أمر لم يفعله ، وبهذا يتضح أن الشيعة دورا كبيرا في رواية هذه الأحداث إذ يُعظمون أهل البيت لدرجة ضرب الرؤوس بالسيوف حتى تدمي ولطم الخدود (13) ، ويثيرون الشفقة لما أصابهم ، وفي مقابل ذلك يُنسب الظلم والجور للمؤمنين (14) .

أما نقل اليعقوبي لقصة أم سلمة ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاها ترابا ، وقال لها إذا تحوّل إلى دم فاعلمي أن الحسين قد قُتل فهذا أيضا يعتبر من وضع الشيعة فهو لا يصح ، وزاد الشيعة أن السماء احمّرت وأمطرت دما ، وما رُفع حجر إلا وُجد تحته دم (15) ، ولكن الثابت أن النبي صلى الله عليه وسلم تنبأ بقتله ، وذكر ذلك لأم سلمة ، وقال ثابت كنا نتحدث ، ونقول أنها كربلاء (16) .

وللإشارة فإن يزيد بن معاوية تكفّر الشيعة لأن رواياتهم تُحمّله مقتل الحسين بن علي رضي الله عنه ، ولكن المشهور يُعارضه ، ذلك أن يزيد لما وصلت إليه رأس الحسين قال : **رحمك الله يا حسين** ، لقد قتلك رجل لم يعرف حق الأرحام ، ولهذا فالأصل أنه مسلم ، وبالتالي تفويض أمره إلى الله لأنه عالم بالخفيات ، ومُطلّع على ضمائر عباده (17) .

## 2-موقعة الحرة (63هـ/683م) :

ذكر اليعقوبي وقعة الحرة بالمدينة المنورة بقوله :

" فلما انتهى الخبر إلى يزيد بن معاوية وجّه إلى مسلم بن عقبة ، فأقدمه من فلسطين وهو مريض ، فأدخله منزله ثم قصّ عليه القصة ، فقال : يا أمير المؤمنين وجهني إليهم فوالله لأدعن أسفلها أعلاها ، يعني مدينة الرسول ، فوجهه في خمسة آلاف إلى المدينة ، فأوقع بأهلها وقعة الحرة ... فأتبعه الخيل حتى دخلت المدينة ، فلم يبق بها كثير إلا قُتل ، وأباح حرم رسول الله ، حتى ولدت الأبقار لا يُعرف من أولدهن ، ثم أخذ الناس على أن يُبايعوا على أنهم عبيد يزيد بن معاوية ، فكان الرجل من قريش يُؤتى به ، فيقال : **بائع آية أنك عبد قن ليزيد ، فيقول لا فيضرب عنقه " (18)** .

وقد نقل هذه الوثيقة إلى جانب اليعقوبي ابن الأثير في أسد الغابة ، ولكنه أشار إلى سبب الواقعة ، وخصه بخلع أهلها ببيعة يزيد<sup>(19)</sup> ، في حين أنه أشار في كتابه الكامل إلى إرسال مسلم بن عقبة - من قبل يزيد - وأن يزيدا طلب منه أن يدعوا العوام ثلاثا فإن أجابوه وإلا فليقاتلهم فإذا ظهر عليهم فانهبها ثلاثا ، فكل ما فيها من مال ، أو دابة ، أو سلاح ، أو طعام فهو للجنود<sup>(20)</sup> ، وذكر هذه الواقعة أيضا ابن الجوزي في كتابه المنتظم ، ولم يذكر أمر يزيد بإباحة أعراض المسلمين<sup>(21)</sup> كما ذكر المؤرخ اليعقوبي في روايته السابقة .

في حين وافق المؤرخ اليعقوبي في روايته كلا من المؤرخ المسعودي ، حيث أشار هو الآخر إلى هتك الأعراض<sup>(22)</sup> ، والمؤرخ ابن تغري بردي الذي ذكر أنه في ذلك اليوم افتضت فيها ألف عذراء<sup>(23)</sup> ، كما وافقه المؤرخ ابن الطقطقي الذي نص في روايته أن الرجل من أهل المدينة بعد وقعة الحرة كان إذا زوج ابنته لا يضمن بكارتها ويقول : لعلها قد افتضت في وقعة الحرة<sup>(24)</sup> ، ولإشارة هؤلاء المؤرخين ذوو نزعة شيعية .

وبهذا يتضح تحامل المؤرخ اليعقوبي على يزيد بن معاوية واتهامه بهتك أعراض المسلمين على غرار باقي الشيعة ، فهل يعقل حدوث ذلك كله في عصر التابعين ، والصحابة دون أن نجد له ذكر في المصادر السنية ، لهذا لا يجب أن يأخذ لهذه الروايات الشيعية خاصة إذا كانت تتحدث عن وقائع في عهد الدولة الأموية ، ولأسيما عهد يزيد بن معاوية بالذات ، وهو المكروه من قبل الشيعة عامة فما بالك إذا كان راوي الحادثة ذو نزعة شيعية كالمؤرخ اليعقوبي .

كما أن المؤرخ اليعقوبي في إشارته إلى البيعة التي أخذت من أهل المدينة فيما بعد يفهم منها أن أهل المدينة كلهم تمردوا على يزيد وخلعوه للاتهامات التي نسبت إليه وفنّدها محمد بن الحنفية<sup>(25)</sup> ، في حين أن جماعات كاملة من أهل المدينة من أبناء المهاجرين والأنصار كانوا على بيعتهم ليزيد بن معاوية ، ولم يشاركوا في الموقعة ، وبهذا لا يصح القول بأن أهل المدينة بهذا الإطلاق قد خلعوا الخليفة الأموي يزيد بن معاوية<sup>(26)</sup> .

هذا وقد رفض جماعة من الصحابة ، والتابعين خلع يزيد مثل عبد الله بن عمر ، ومحمد بن الحنفية ، وعلي بن الحسين بن علي ، وسعيد بن المسيب وغيرهم<sup>(27)</sup> ، كما ذهب عالم الأمة عبد الله بن عمر إلى ابن المطيع - وكان من دُعاة عبد الله بن الزبير في المدينة - ينصحه ويُذكره الله عز وجل ، ويُذكره بأن له بيعة في عنقه ، وأن من أعظم الغدر أن تباع الأمة إمامها ثم تنصب له القاتل<sup>(28)</sup> ، وكان ابن عمر رضي الله عنه يُذكر ابن المطيع بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي رواه البخاري في صحيحه : " يُنْصَبُ لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ... " الحديث<sup>(29)</sup> ، ومما سبق يتضح أن ما أورده المؤرخ اليعقوبي حول وقعة الحرة إنما كان بدافع نزعته الشيعية التي تظهر جلية في محاولة اتهامه ليزيد بن معاوية بأشياء هو بريء منها براءة الذنب من دم يوسف .

### 3- قصة إحراق الكعبة سنة (64 هـ/684م) :

لقد أورد المؤرخ اليعقوبي حادثة حرق الكعبة زمن خلافة يزيد بن معاوية بقوله : " وقدم الحصين بن نمير مكة فناوش ابن الزبير الحرب في الحرم ، ورماه بالنيران حتى أحرق الكعبة ... فلم يزل على ذلك حتى أحرقت الكعبة ، فقال أصحاب الزبير : نطفئ النار فنمنعهم ، وأراد أن يغضب الناس للكعبة ، فقال بعض أهل الشام : إن الحرم والطاعة اجتماعا ، فغلبت الطاعة الحرم ، وكان حريق الكعبة في سنة 63 هـ " (30) .

والملاحظ من خلال رواية اليعقوبي حول حرق الكعبة أنه يُحمّل جند يزيد بن معاوية بقيادة الحصين بن نمير مسألة إحراق الكعبة ، وفي حين أننا نجد في غير رواية اليعقوبي أقوالاً أخرى تُرجع سبب حرق الكعبة ، إلى الرياح حيث ذكر ابن كثير أنّ ابن الزبير سمع تكبيراً في جبال مكة في ليلة ظلماء ، فظن أنهم أهل الشام ، فزُفعت نار على رمح لينظروا مَنْ هؤلاء على الجبل ، فأطارت الريح شرارة من رأس الرمح إلى مابين الركن اليماني والحجر الأسود من الكعبة فاحتُرقت الكعبة <sup>(31)</sup> ، وذكر نفس القصة الذهبي <sup>(32)</sup> ، وابن الأثير في كتابه الكامل <sup>(33)</sup> ، وابن الجوزي في المنتظم <sup>(34)</sup> ، والدليل على أن الكعبة لم تكن مقصودة في ذاتها بالإحراق هو الذهول والخوف من الله في كلتا الطائفتين <sup>(35)</sup> .

وبهذا نجد المؤرخ اليعقوبي أراد أن يُصور بني أمية على أنهم لا يحترمون المقدسات الدينية ، وانتهكوا حرمة بيت الله الحرام في حين أنّ الحصين بن نمير تحرّج من قتل الحمام في البيت الحرام ، كما أن مروان بن الحكم كان يعارض فكرة غزو الكعبة فإنه لما علم أنّ عمرو بن سعيد أعدّ جيشاً بقيادة عمرو بن الزبير لقتال أخيه عبد الله ، جاء إلى ابن سعيد وقال : لا تغز مكة واتق الله ، ولا تحل حرمة البيت ، وخلصوا ابن الزبير فقد كُبر ، والله لئن لم تقتلوه ليموتن <sup>(36)</sup> ، ولعلّ هذا ما يدفع تحامل الشيعة على الخلافة الأموية لاسيما خلافة يزيد بن معاوية الذي وصفها البعض بأنها سنين شؤم ، حيث قُتل فيها الحسين ، واستحلت فيها المدينة ، وأُحرقت فيها الكعبة ، كما ذكر ذلك المؤرخ اليعقوبي <sup>(37)</sup> .

وعليه ففي الأخير يمكن أن نخلص إلى النقاط التالية :

1-تشويه روايات المؤرخ اليعقوبي لصفحات التاريخ الإسلامي خاصة عند تناوله للأحداث التي جرت في عهد بني أمية على غرار أحداث الفتنة الكبرى.

2-خطر روايات المؤرخ اليعقوبي إذ تعتبر معيناً ومصدر الكثير من المستشرقين والمغرضين والحاقلين على الإسلام وأهله .

3-ضرورة تحلي المؤرخ بحس النقد الحديثي حتى يستطيع معرفة الرواية الصحيحة من الرواية الضعيفة والموضوعة .

4-أهمية الاعتماد على الإسناد في سرد الروايات التاريخية حتى يتسنى للمؤرخ والباحث التاريخي التحقق من صحة الحادثة التاريخية .

5-صعوبة تخلص المؤرخ من ذاتيته خاصة الميول العقيدية منها ، لذا عليه أن يلتزم بالموضوعية النسبية والتي لا تُخل بسرد الرواية التاريخية على وجهها الصحيح ولو تعارض ذلك مع الميول المذهبية .

#### قائمة المصادر والمراجع:

(1) الطُّفُفَاتُ: بالضم ثم السكون، ثم قاف أخرى مضمومة، موضع قرب الكوفة من جهة البرّة بالطف (يُنظر ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، د.ط. ، 1977م ، ج.4 ، ص.374).

(2) ابن واضح اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، بيروت ، ط.1 ، 1995م ، ج.2 ، ص. 243 فما بعدها .

(3) ابن جرير الطبري : تاريخ الملوك والرسول ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، مصر ، ط.2 ، 1967م ، ج.5 ، ص. 400 فما بعدها ؛ محمد مهدي شمس الدين : واقعة كربلاء في الوجدان الشعبي ، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط.2 ، 1996م ، ص.23.

(4) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، تحقيق : أبي الفدا عبد الله القاضي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط.1 ، 1987م ، ج.3 ، ص. 407 فما بعدها

(5) ابن خلدون : ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، د.ط. ، 2001م ، ج.3 ، ص. 27 ، 28 .

(6) ابن كثير : البداية والنهاية ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر ، بيروت ، لبنان ، ط.1 ، 1997م ، ج.11 ، ص. 521 .

(7) Murtadha Mutahhari : The Truth about Al- Hussian's Revolte ,Translated by , Najim Al-Khafaji,Dar Al-Hadi publications, Lodon ,U.K,2003,P 07; SimonOckley

:The History of the Sarcens ,Ed ,6,London,U.K,1857,p 397.

(8) Anonyme :Imam Hussein and the day of Ashura , dar Al-Tawheed ,State of

Kuwait ,Ed, 1, 2005,p114.

(9) Syed H.Akhtar :Imam Hussain's Journey from Madinah to Karbala, http

:moralsandethics.wordpress.com,p 05.

(10) Raza Na'imi and Hussain al-Azhri : Imam Hussain and the tragedy of Karbala ,

http:www.islamic centre .org ,p. 16.

(11) أحمد بن محمد حجر الهيتمي : "الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة" , ماجستير , ص. 247 , 248 .

(12) أحمد بن تيمية : رأس الحسين , تحقيق السيد الجميلي , دار الكتب , 1988م , ص . 199 .

(13) Muhammed Salih Al-Munajjid : What The Shi'ah do on Ashoora is innovation

and misguidance , translated by,Islam Wabsite, 2012,p 02.

(14) أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي : المرجع السابق , ص . 249 , 250 .

(15) نفس المرجع , ص : 226 فما بعدها .

(16) أحمد بن حنبل: المسند , دار الحديث , القاهرة , مصر , ط.1 , 1995م , ج . 11 , ص. 208 حديث رقم 13473.

(17) أحمد بن محمد حجر الهيتمي : المرجع السابق , ص . 413 .

(18) ابن واضح اليعقوبي :المصدر السابق , ج . 2 , ص. (250 , 251) .

(19) ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة , , لبنان , تحقيق : علي محمد عوض , عبد الفتاح أبو سنة , دار الكتب العلمية , بيروت , لبنان , ج.3 , ص . 244 .

(20) ابن الأثير : الكامل في التاريخ , ج.3 , ص. 456 .

(21) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم , تحقيق : محمد عبد القادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا , , دار الكتب العلمية , بيروت , لبنان , ط.1 , 1992م , ج.6 , ص . 16.

(22) علي بن الحسين السعدي : مروج الذهب ومعادن الجوهر , المكتبة العصرية , بيروت , ط.1 , 2005م , ج . 3 , ص.64.

(23) ابن تغري بردي الأتابكي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة , مطبعة دار الكتب المصرية , القاهرة , مصر , ط.1 , 1929م , ج . 1 , ص. 164 .

(24) ابن الطقطقي : الفخري في الآداب السلطانية و الدول الإسلامية , دار صادر , بيروت , لبنان , ص.116.

(25) حمدي شاهين : الدولة الأموية المفترى عليها , دار القاهرة للكتاب , القاهرة , ط.2 , 2005 , ص . 340 .

(26) نفس المرجع , ص . 341 .

(27) نفسه .

(28) ابن تيمية : المنتقى من منهاج الاعتدال , تحقيق : محب الدين الخطيب , وكالة الطباعة والترجمة , الرياض , ط.3 , 1413هـ , ص. 304 .

(29) البخاري : صحيح البخاري , دار ابن كثير , بيروت , ط.1 , 2002 م, رقم ح 7111.

(30) ابن واضح اليعقوبي : المصدر السابق , ج.2 , ص. 251 , 252 .

(31) ابن كثير : المصدر السابق , ج.11 , ص. 635 .

(32) الذهبي : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير و الأعيان , تحقيق : بشار عواد معروف , دار الغرب الإسلامي , بيروت , لبنان , ط.1 , 2003م , ج.2 , ص . 593 .

(33) ابن الأثير : المصدر السابق , ج.3 , ص. 464 .

(34) ابن الجوزي : المصدر السابق , ج.6 , ص . 22 .

(35) علي محمد الصلابي : خلافة أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير , مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع , القاهرة , مصر , ط . 1 , 2006م , ص.53.

(36) حمدي شاهين : المرجع السابق , ص. 347 , 348 .

(37) ابن واضح اليعقوبي : المصدر السابق , ص. 253 .